

الحبيب ﷺ زوجاً

ضربَ النبِيُّ ﷺ أروعَ نموذجٍ في المعاشرة الزوجية، فكان بحقٍّ نعم الزوج لزوجه، وخير الناس لأهله، ولم لا وقد جعل ﷺ معيار خيرية الرجال في حُسن عشرة الزوجات فقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (رواية الترمذى وابن ماجه)، فكان ﷺ جميل العشرة معهن دائم الشُّرُّ، يداعبهن ويتلطف بهن، ويعاملهن بكل سُمٌُّ حُلقيٌّ؛ من محبة وعدل ورحمة ووفاء، وغير ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية في جميع أحوالها؛ وفيما يلي بعض مظاهر حسن عشرته ﷺ مع زوجاته:

قال ﷺ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (رواية الترمذى وابن ماجه)

قال رسول الله ﷺ: «خُبَّابٌ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطَّيْبُ، وَجُعِلَ فِرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (رواية النسائي). وقد سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه قائلاً: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ - فأجابه بكل صراحة ووضوح - قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقَالَ: «وَمِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ ﷺ: «أَبُوهَا» (متفق عليه).

محبة الحبيب ﷺ لزوجاته

ومن رفقه وحسن عشرته أنه ﷺ كان أحياناً يغتسل مع زوجته من إناء واحد، حتى تقول له: «دع لي»، ويقول لها: «دع لي» (رواية مسلم) وعن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبِيَّ ﷺ كان في سَفَرٍ، وَكَانَ عَلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ النبِيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» (متفق عليه). قال الإمام النووي: «ومعناه: الأمر بالرفق بهن...»، أي: ارفق في سوقك بالقوارير. قال العلماء: سمى النساء قوارير؛ لضعف عزائمهن، تشبّهًا بقارورة الزجاج لضعفها، وإسراع الانكسار إليها» [شرح النووي على مسلم].

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبُنَّ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا دَخَلَ يَنْقُمُ عَنْ - أَيْ يَتَعَبَّهُ مِنْهُ - فَيُسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ؛ كَيْلَعْبَنَ مَعِي» (رواية البخاري).



مساعدة الحبيب ﷺ لزوجاته فيما لا يقدرون عليه

يروي لنا أنس رضي الله عنه موقفاً للنبي ﷺ مع إحدى زوجاته (السيدة صفية) وهي تحاول أن تركب على البعير، فيقول: «... فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَقْضِي رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ» (رواية البخاري).



ما المجالات التي يمكن أن تتعلمها من سيرته ﷺ لتحسين علاقتك
بزوجتك وتسيير في طريق الخيرية؟

حرص الحبيب ﷺ على التطيب والتزيين لزوجاته

سُئلَت السيدة عائشة رضي الله عنها: «بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسُّوَالِ» (رواية مسلم).

تودد الحبيب ﷺ لزوجاته وانتقاء أحسن الأسماء لهن

فكان ينادي نساءه بتودد، فينادي مثلاً زوجته عائشة رضي الله عنها قائلاً: «يا عائش، هدا جبريل يقرئك السلام...» (رواية البخاري).

تقدير الحبيب ﷺ لمشاعر زوجاته ومراعاته غيرتهن

فعن أم سلمة رضي الله عنها «أَنَّهَا تَعْنِي أَتْبَعَتْ بَطَاعَمْ فِي صَحْفَةِ أَهْلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْبَحَاهُ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُؤْتَزِرَةً بِكَسَاءٍ، وَمَعَهَا فِهْرُ، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةُ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فَلَقَتِ الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «كُلُوا، غَارَتْ أُمُّكُمْ».. مَرَّتِينِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةً أُمِّ سَلَمَةَ لِعَائِشَةَ» (رواية السائي).



بِمَ تَرْدُ عَلَى مَنْ يَرِي أَنْ تَعْدُدُ الْزَّوْجَاتِ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ، فِي ظُلْمِ الظَّلْمِ الْحَدِيثِ
الَّذِي تَشَهِّدُهُ الْمَرْأَةُ؟

عدل الحبيب ﷺ بين زوجاته

فَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلْمِنِي فِيمَا
تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ»». يَعْنِي الْقُلُوبَ» (رواية الحاكم).



مراجعة الحبيب ﷺ ظروف زوجاته والتلطف لهن وعدم التألف منها

تروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فتصف كيف كان النبي ﷺ يتکئ وينام على حجرها وهي حائض، فتقول: «كَانَ يَتَکَئُ فِي حِجْرِيٍّ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ» (رواية البخاري).

مساعدة الحبيب ﷺ لزوجاته في أعباء المنزل

فقد سئلت عائشة رضي الله عنها: «مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (رواية البخاري). أي كان ﷺ يقوم بخدمة نفسه تخفيفاً على زوجته لئلا يشق عليها.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «كُنْتُ أَسْرَبُ مِنَ الْقَدَحِ وَأَنَا حَائِضٌ، فَأَنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِي، فَيَسْرِبُ مِنْهُ». وَأَتَرَقُ مِنَ الْعَرْقِ وَأَنَا حَائِضٌ، فَأَنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِي» [العرق: القطعة من اللحم] (رواية النسائي).

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كَانَ يَخْيِطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ» (صحيح الجامع).



أقرَّ النَّبِيُّ ﷺ لزوجة حقوقها في وقت لم يُعرف فيه للمرأة حقٌّ، فما دلالة ذلك؟

عدم إيذاء الحبيب ﷺ زوجاته بالضرب أو التعنيف

فلم يؤذ ﷺ أحداً من زوجاته أو يضرها، وفي ذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا نَيَلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَسْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُتَهَكَّ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَسْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواية مسلم).

وأوصى بالمرأة حتى عند مخالفتها أمر زوجها فجعل لتأديبها حدوداً وضوابط وشروطًا عند اضطرار الزوج لتأديبها، قال ﷺ: «.. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخْذَنُتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فِرُوجَهُنَّ بِكَلْمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئُنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرُهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرِبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ» (رواية مسلم).

عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَبَتْ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقْبَحِ، وَلَا تَهْجُرِ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» (رواية أبو داود) وقال: (ولا تُقْبَحِ): أَنْ تقول: «قَبَحَ اللَّهُ!».



كيف تفهم قوله ﷺ: «إِسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلْقَنِ مِنْ ضَلَّعٍ وَإِنَّ أَعْوَاجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَّعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقْيِيمُهُ كَسْرَتْهُ، وَإِنْ تَرْكَتْهُ لَمْ يَزُلْ أَعْوَاجَ..» (رواية البخاري) في ظل ما علمنا من علاقته ﷺ بزوجاته؟



مواساة الحبيب ﷺ لزوجاته ومسحه دموعهن

فقد ورد أن السيدة صفية «كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها، فابتليت في المسيرة، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: «حملتني على بعير بطيء»، فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويُسكتها» (رواية النسائي).

مسابقة الحبيب ﷺ زوجاته ولعبه معهن

ومن ذلك أنه ﷺ أصطحب زوجته عائشة رضي الله عنها في أحد أسفاره وكانت ما تزال صغيرة: فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال لي: «تعالى حتى أسابيك» فسابقته فسبقه، فسكت عنى، حتى إذا حملت اللحم وبذنت وسببت، خرجمت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «تعالى حتى أسابيك» فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: «هذيه بتلك» (رواية أحمد).

هل تعرف البشرية أفضل من تعامله ﷺ مع زوجاته؟ وضح هذا مقارنةً بما تشاهده في الحياة.

وفاء الحبيب ﷺ لزوجاته

كان الوفاء من شيمته ﷺ وكان أولى الناس لزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، ومن ذلك أنه ﷺ كان يحن لذكرها ويشي عليها.. ولما أكثر النبي ﷺ من ذكرها ذات مرة قالت عائشة رضي الله عنها وقد غارت: (قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها) وهنا قام النبي ﷺ مدافعاً عنها ومعدداً مائرتها وأفضالها، مما يدل على حُسن وفائه ﷺ لها وحفظه لذكرها وجميل معشرها، فقال ﷺ: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبني الناس، ووَاسْتَيْ بِمَا لَهُ إِذْ حَرَمَنِي وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ لَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أُولَادُ النَّسَاءِ» (رواية أحمد). بل كان ﷺ من حُسن وفائه لزوجته السيدة خديجة أنه كان يكرم صديقاتها، فكان يشتري الشاة فيذبحها ثم يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» (صحيح الجامع).

هل هناك تعارض بين وفائه ﷺ لخديجة في حياتها وبعد مماتها وزواجه ﷺ من غيرها؟



كيف تقتدي به ﷺ

1. أحسِّنْ معاملة زوجتك واعمل بوصية النبي ﷺ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ..» (رواه الترمذى وابن ماجه).
2. العَبْ واصحِّك وواسِّع وتلطفْ واحدم زوجتك، وكن حسن الخلق معها؛ فهذا هو هديه ﷺ.
3. إِيَّاكَ وتحميل زوجتك فوق ما تطيق، بل أكرّها وأسعدها، كما كان يفعل ﷺ مع زوجاته.
5. خصّصْ وقَتاً لزوجتك لمجالستها والحديث معها، وحاول القيام بالترفية عنها بالخروج للتنزه، أو بالمداعنة كما كان يفعل النبي ﷺ مع زوجاته.
6. كن لزوجتك كما تحب أن تكون لك .. فقدر مشاعرها، وتفهّم حاجاتها؛ فكن لها وفياً، وبها رحيمًا، وعليها عطوفًا، وتطيّب وتزيّن لها، فقد كان ذلك هدي النبي ﷺ مع زوجاته.
7. إِيَّاكَ وضرب الوجه أو الإهانة، وتذكّر «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ وَلَا خَادِمًا» (رواه أحمد).

